العلاقة بين الأسطورة والفلسفة
"جدلية الصلة والتعارض"

د. سوسان إلياس*
سارة المحمود**

(تاريخ الإيداع 1 / 11 / 2020. قبل للنشر في 9 / 3 / 2021)

□ ملخّص □

يناقش هذا البحث حقلين معرفيين مختلفين يتعامل معهما الفكر الإنساني هما (الحقل الأسطوري والحقل الفلسفي) والعلاقة القائمة بينهما صلة وتعارضاً. وقد انصب البحث بالدراسة والتحليل على الدلالة اللغوية والاصطلاحية لكل من مفهوم الأسطورة والفلسفة أولاً ومن ثم الكشف عن الرؤى المختلفة حيال العلاقة القائمة فذهب الاتجاه الأول إلى النظر للأسطورة من حيث علاقتها بالفلسفة إلى إقامة نوع ما من الصلة الإيجابية، بينما ذهب اتجاه ثاني معارض إلى الفصل الكامل بين الأسطورة والفلسفة على أساس التعارض الذي يقيمه هذا الاتجاه بين الميثوس و اللوغوس.

وبالوقوف عند الاتجاهين في تحديد طبيعة العلاقة بين الأسطورة والفلسفة سنجد أن الاتجاه الأول يعمل على صهر نمطي التفكير في بوتقة واحدة وفي قناة معرفية واحدة. وأن الاتجاه الثاني سيزعم بالقطع بين نمطي التفكير فليس ثمة ما يربط بينهما سوى العِداد

الكلمات المفتاحية: أسطورة – فلسفة – جدلية –ميثوس–لوغوس.

* **أستاذ مساعد – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق– سورية.**
** **طالبة دكتوراه – قسم الفلسفة – كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة دمشق– سورية.**

The relationship between Myth and Philosophy dialectic of relevance and opposition

Dr. Susan Elias[*]
Sarah Almhmooud[**]

(Received 1 / 11 / 2020. Accepted 9 / 3 / 2021)

□ ABSTRACT □

This research will discuss two different fields of knowledge with which human thought deals, namely the mythological field and the philosophical field, and the relationship between them are related and contradictory.

The research focused on studying and analyzing the linguistic and idiomatic significance of each of the concept of Myth and philosophy in the first place and then revealing different visions about the existing relationship, in the first direction, it looked at the legend in terms of its relationship to philosophy to establish some of the positive connections, while the second opposing trend went to the complete separation between myth and philosophy based on the opposition that this trend established between Metus and Logos.

By standing at the two directions in determining the nature of the relationship between myth and philosophy, we find that the first direction works on melting the two modes of thinking into one crucible and in one epistemological channel, and the second direction claims to disconnect between the two types of thinking, so there is nothing that links them except the hostility.

Key words: Myth, philosophy, dialectic, Metus, Logos.

[*] **Assistant Professor in the Department of Philosophy - Damascus University - College of Arts and Humanities.**

[**] **PhD studentin the Department of Philosophy - University of Damascus - College of Arts and Humanities.**

مقدمة:

تعد مشكلة العلاقة بين الأسطورة والفلسفة من المشكلات المثيرة للجدل والنقاش منذ فجر الفكر الإنساني، لذلك آثرنا إلقاء الضوء عليها لأنها تشكل جزء لا يتجزأ من تاريخ الفكر الفلسفي وصيرورته.

يعد هذا البحث دراسة علمية جادة تهدف إلى البحث في العلاقة القائمة بين حقلين معرفيين مختلفين من خلال الإجابة عن التساؤل الآتي:

– **إذا كانت الأسطورة حكاية رمزية لها وظيفة تأسيسية في النسق الفكري والمعرفي للشعب الذي أنتجها فإن هدف البحث يكمن في معرفة مدى اقتراب الأسطورة من الفلسفة والتي تمثل هي الأخرى الميدان الذي يُطرح فيه السؤال عن المعنى والحقيقة ومدى الابتعاد عنها.**

– إلى أي مدى يمن الحديث عن اتفاق (إيجاب) واختلاف (سلب) بين الحقلين المعرفيين؟

للإجابة عن هذا التساؤل اقتضت **خطة البحث** تقسيمه إلى مقدمة تشتمل على أهمية البحث وأهدافه والدراسات السابقة ومنهج البحث، وثلاث فقرات.

تتبعنا في الفقرة الأولى: الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمفهوم الأسطورة والفلسفة وذلك من خلال البحث والتنقيب في المعاجم والموسوعات العربية والأجنبية للوقوف على معنى الأسطورة ومعنى الفلسفة.

– أما في الفقرة الثانية فقد تناولنا الصلة بين الأسطورة والفلسفة مع تحديد الحجج الذي استند إليها الفريق الذي تبنى وجهة النظر الإيجابية.

– وفي الفقرة الثالثة رصدنا رأي سلبي يميل للفصل بين الأسطورة والفلسفة مقدمين حجج ذلك الفريق.

إضافة إلى الخاتمة التي اشتملت على توصيات علمية نابعة من البحث.

أهمية البحث وأهدافه:

نعتقد أن هذا البحث يحظى بأهمية خاصة كونه دراسة تخصصية تهدف إلى تحديد العلاقة بين الخيالي والبرهاني أي الأسطورة والفلسفة لمعرفة مدى اقتراب الأسطورة من الفلسفة ومدى الابتعاد عنها. وتتجلى أهداف البحث في الإجابة عن جملة من التساؤلات منها:

– ما الأسطورة؟ وما الفلسفة وما خصوصية كل منهما؟ وما حقيقة العلاقة الجدلية التي تربط الأسطورة بالفلسفة؟

منهجية البحث:

آلتنا الفكرية في موضوع البحث هي منهج التحليل والتركيب، حيث سيمكننا التحليل من قراءة النص الأسطوري والنص الفلسفي وتحليله وتقصي أبعاده ومضامينه بهدف الولوج إلى بنيته. وسيكون التركيب وسيلتنا لإعادة بناء النص وتركيبه من وجهة نظر نقدية بنائية.

أما المنهج المقارن فهو المنهج الرئيسي للبحث. حيث سنعمد من خلاله في الكشف عن التشابه والاختلاف في العلاقة القائمة بين الأسطورة والفلسفة.

أما النقد فسيكون أداة فكرية فعالة تمنحنا إمكانية الابتعاد عن التأويلات أو الرؤى اللاموضوعية وتجنبنا الوقوع في الأحكام المسبقة.

الدراسات السابقة:

لا شك في وجود الكثير من الدراسات التي تناولت علاقة الفلسفة بالأسطورة لكن هذه الدراسات جاءت مختلفة وفي حقول معرفية متباينة والأقرب منها يكاد يلامس في بعض جوانبه موضوع بحثنا وعلى سبيل الانتقاء:

1- دراسة لـ (مها عيسى فتاح العبد الله)، تأويل الأسطورة في كتابات أفلاطون، دار الفارابي، 2016.

يتألف الكتاب من خمسة فصول، يعالج الفصل الأول معدة مباحث منها علاقة الفلسفة بالأسطورة في المبحث الثاني.

2- دراسة لـ (محمد غلاب، الفلسفة الشرقية، مجلة الرسالة، العدد 198، 1937):

تعالج الدراسة تساؤل حول علاقة الفلسفة بالأسطورة على الشكل الآتي:

- هل الفلسفة الإغريقية وليدة الفلسفة الشرقية؟

أولاً: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للأسطورة والفلسفة:

شكلت الأسطورة المرحلة الأولى من تاريخ الوعي الإنساني فقد حاول الإنسان في عهده الأول تفسير الكون بلغة رمزية خيالية، فتصور الآلهة والطبيعة تصوراً عفوياً مملوءاً بالمتناقضات، يفتقر إلى البرهان العقلي المنظم والذي تبلور في الفلسفة لاحقاً.

- فما هي الأسطورة وما مضمونها اللغوي والاصطلاحي؟
- ما هي الفلسفة وما مضمونها اللغوي والاصطلاحي؟

- الأسطورة ومضمونها اللغوي والاصطلاحي:

تحمل الأسطورة في جذرها اللغوي معاني كثيرة وهي مأخوذة من مادة سطر «**الأسطورة من الفعل سطر، والسطر هو الصف في الكتاب والشجر والنخل ونحوها، والجمع من كل ذلك أسطر وأسطار وأساطير وسطور، والسطر هو الخط والكتابة والأساطير هي الأباطيل والأحاديث المنمقة التي لا نظام لها ومفردها أسطار وأسطارة وأسطورة**»[1]. أما في اللغات الأوروبية فالأساطير هي قصص عن الآلهة، كانت على الأرجح في أصولها محاولات لتفسير ظواهر طبيعية وأحداث لم تكن وقتئذ قابلة للشرح والتفسير (كالحياة والموت وأفعال القدر)[2].

الأمر الذي يسمح لنا بالقول أن الأسطورة شكل من أشكال التفسير الميتافيزيقي لما يحصل في الواقع.

أما من باب الاصطلاح: فقد ورد في المعجم الفلسفي أنّ الأسطورة «**هي التعبير عن الحقيقة بلغة الرمز والمجاز**»[3].

لقد اختلف القراء والباحثون حول تعريف الأسطورة فذهب المختصون في دراسة الفكر الأسطوري إلى اعتبار الأسطورة حقيقية إذا ما فُهمَت في مجتمعها لكنها تتحول إلى قصة غير حقيقية إذا خرجت من مجتمعها وعصرها وزمانها وهذا ما دلل عليه كل من "فراس السواح ومرسيا إلياد" المختصان بدراسة الأديان واللّذين فهما الأسطورة من داخلها بعصرها وزمانها. يقول السواح: «**حكاية مقدسة يؤمن بها أهل الثقافة التي أنتجتها بصدق رواياتها ويرون في مضمونها رسالة موجهة لبني البشر**»[4]. أما مرسيا إلياد فيرى أن الأسطورة تروي حكاية مقدسة حقيقية وقعت في بدء الزمان[5].

---

(1) **ابن منظور، لسان العرب، المطبعة الأميرية، الجزء السادس، مادة سطر، بدون تاريخ، ص28.**

(2) **العبد الله، مها، تأويل الأسطورة في كتابات أفلاطون، دار الفارابي، 2016، ص41.**

(3) **صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، ج1، 1982، ص79.**

(4) **السواح، فراس، الأسطورة والمعنى (دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية)، دار علاء الدين، ط2، 2001، 15.**

(5) **Eliade,Mircea, Myth, Dreams and Mysteries, New York, 1960, p18**

هذه النظرة التي تبناها المختصون بدراسة الأساطير، تختلف عن النظرة التي تبناها أصحاب هذه النظرية السيكولوجية فيذهب عالم التحليل النفسي "كارل غوستاف يونغ" إلى أن ثمة الكثير من الأفكار تنتقل من جيل إلى جيل عبر ما يسميه "اللاوعي الجمعي الموروث" فتبدو الأسطورة لأصحاب مدرسة التحليل نتاج انفعالات مكبوتة في اللاوعي «**الأسطورة ناتجة عن اللاوعي الجمعي الموروث ببساطة لأنها ليست ذات مضامين فردية بل كلية وكونية منتظمة الظهور، هذه الطبقة العميقة جداً في اللاشعور هي مشتركة بين الجميع كما لو أنها تمثل إرث تطور الجنس البشري**»[(1)]. يرفض (فرويد) التحديد الذي قال به "يونغ" ويرى أن الأسطورة هي نتاج انفعالات مكبوتة في اللاوعي لكن هذا اللاوعي هو لاوعي فردي وليس كما قال "يونغ" لا وعي جمعي «**الأسطورة هي نتاج اللاوعي عند الإنسان**»[(2)]. إذن نرى من خلال التعريفات السابقة اختلاف في تحديد معنى الأسطورة وذلك عائد إلى اختلاف الزاوية التي ينظر لها للأسطورة. وفي ضوء التعريفات السابقة نسوق تعريفاً إجرائياً للأسطورة بوصفها أحد الأفكار الأساسية للعقل الباطن عند الإنسانية، كما أن الإنسان عوّل عليها باعتبارها جزء لا يتجزأ من بنية الشعوب حيث أدت وظيفة معرفية عند كل الشعوب. فالأسطورة هي خطاب يعكس رؤية حضارة ما للكون بما فيه الله والعالم والإنسان، والأسطورة هي افتتاح وعي الإنسان بالعالم. والأسطورة هيغلياً: هي التجلي الأول للعقل في العالم الشرقي معرفياً ضمن الشروط الاجتماعية والسياسية والدينية.

– الفلسفة ومضمونها اللغوي والاصطلاحي:

حدد المعجم الفلسفي لفظ الفلسفة بأنه «**مشتق من اليونانية وأصله (فيلا – صوفيا) ومعناه محبة الحكمة، ويُطلق على العالم بحقائق الأشياء**»[(3)].

أما اصطلاحاً فقد أطلق قديماً على دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة عقلياً وللمصطلح دلالات كثيرة حيث دُرِس من وجهات نظر مختلفة منها:

– الفلسفة الأولى: مصطلح قال به "أرسطو" وأطلقه على دراسة الموجودات الأزلية المفارقة.

– فلسفة التاريخ: مصطلح يطلق على البحث في المبادئ العامة التي يخضع لها تطور المجتمعات البشرية.

– الفلسفة العامة: مصطلح يُطلق في البحث عن المبادئ العامة التي توضح العلوم.

– فلسفة العمل: تقابل فلسفة النظر وترادف السلوك الإنساني.

– فلسفة كأن (الكأنية): تقوم بالبحث عن الفروض التي لا يمكن إثباتها نظرياً وإن أمكن تسويغها عملياً.

– فلسفة الهوية: البحث في النظريات التي لا تفرق بين الذات والموضوع.

– فلسفة الطبيعة:

– الفلسفة الوجودية.

– الفلسفة الخالدة.

– فلسفة التنوير...[(4)].

---

(1) **مصطفوي، محمد، الدين والأسطورة (دراسة مقارنة في الفكر الغربي والإسلامي)، مؤسسة الانتشار العربي، 2014، ص65.**

(2) **Freued Sigmund, The Najor works, Chicago University, 1977, p767**

(3) **صليبا، جميل، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، ج2، 1982، ص160.**

(4) **مدكور، إبراهيم، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، 1983، ص140–141.**

ليس للفلسفة تعريفاً جامعاً وهذا كما أشرنا عائد إلى اختلاف النظرة التي ينظر منها للفلسفة، فالفلسفة «**هي التوضيح المنطقي للفكر**»[1] بمعنى أن الفلسفة في نشاطها تعتمد الاقتراب من المحاكمة العقلانية لموضوعاتها وخصوصيتها تكمن في تحليل الأفكار ونقدها تحت لواء العقل. يرى "مارك كريبون Marc crèpon" أن الفلسفة «**هي فن استبدال التباس الآراء. قوة الكذب والقوى التي تفرضه بالشجاعة النقدية للحقيقة**»[2]. فالفلسفة حسب "كريبون" ومن سبقه إنما تبدأ من اللوغوس الذي يعمل على إيضاح الأفكار وتنقيتها عن طريق التحليل والنقد البنّاء.

يبدو أن من أخص خصوصية الفكر الفلسفي هو المفهوم الذي يساوي التعريف الذي يبدعه الفيلسوف الأمر الذي دعا عدّة باحثين إلى تعريف الفلسفة بأنها هي إبداع المفاهيم أو عشق المفاهيم، فيقول كل من "جيل دولوزوفلكسغثاري" أن «**الفلسفة هي الحقل المعرفي القائم على إبداع المفاهيم**»[3] أما "هايدغر" فيذهب للقول إنما الفلسفة «**سؤال عن الماهية**»[4]. ولما كانت الفلسفة وفق التصورات السابقة هي مساءلة عقلية وتفكير نقدي مبدع للمفاهيم وسؤال عن الماهية جاء باحثون ليجمعوا تلك الرؤى في مصطلح النسق وبذلك تغدو الفلسفة نسقاً معرفياً: «**النسق الفلسفي بناء فكري مركب من وحدات معرفية (فروض – قضايا – تصورات – مفاهيم – نظريات) تُشكل إطاراً تصورياً مترابطاً ومتسقاً منطقياً في إطار منهج يهدف للإحاطة بالوجود بأسره**»[5].

وفي ضوء التعريفات السابقة نسوق تعريفاً إجرائياً للفلسفة:

إن استخدام مصطلح فلسفة بالمعنى العام هو استخدام يُدل به على كل تفكير تأملي حول تصورات أصل العالم ونشوئه وطبيعته ووجود النفس ومساراتها في هذه الحياة ووجود الله والمشكلات الأخلاقية والفنية.

هذا في مقابل المعنى الخاص التقني لمصطلح الفلسفة والذي يشير إلى نسق فكري شامل يقوم على استدلالات وبراهين ويخلو من التناقضات الداخلية المنطقية وموضوعه الله والعالم والإنسان والعلاقات القائمة بينها. بعد أن حددها الدلالة اللغوية والاصطلاحية للأسطورة والفلسفة ننتقل إلى بحث العلاقة بينهما وجدلية الصلة والتعارض فقد انقسم الباحثون في الإجابة عن العلاقة التي تربط الأسطورة بالفلسفة إلى اتجاهين متعارضين.

– يذهب أنصار الاتجاه الأول إلى أنه ثمة فلسفة في الأسطورة، ويميل أنصار هذا الاتجاه إلى إقامة الصلة بين الحقلين المعرفين مقدمين حججهم التي استندوا إليها.

– أما الاتجاه الثاني: فيعتنق رأياً معارضاً، إذ يؤكد الفصل الكامل بين التفكير الأسطوري والتفكير الفلسفي. نبدأ بالاتجاه الأول الذي اعتنق الرؤية الإيجابية للعلاقة بين الأسطورة والفلسفة.

ثانياً: الصلة بين الأسطورة والفلسفة:

لما كان كل نص بما هو نص فكري يسمح بإعادة قراءته، لذا فقد أعاد "شلنج" – الفيلسوف الألماني (1775–1854) – قراءة الأسطورة قراءة جديدة وخرج برؤية تقول: أنه ثمة فلسفة في الأسطورة وسمّى كتابه "فلسفة الأسطورة Philosophy of Myths" «**عند شلنج ظهر للمرة الأولى فلسفة في الأسطورة ولم تعد الأسطورة عنده تقع على الطرف**

---

(1) **وورم، فريدريك، الفلسفة في 100 كلمة، ترجمة وتقديم: محمد جديدي، منشورات ضفاف، 2015، ص131.**

(2) **مرجع سابق، ص131.**

(3) **دولوز، جيل،غثاري، فيلكس، ما هي الفلسفة؟، ترجمة: مطاع الصفدي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1997، ص30.**

(4) **هيدغر، مارتن، ما الفلسفة؟ ما الميتافيزيقا؟، دار الثقافة، القاهرة، 1974، ص61.**

(5) **الضاهر، سليمان، مفهوم النسق في الفلسفة: الإشكالات والخصائص، مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية، مجلد 30، العدد (3+4)، 2014، ، ص10.**

المقابل للفكر الفلسفي، بل لقد أصبحت الخلفية الطبيعية له، أو بتعبير أدق تمثل الفلسفة في أكمل صورها»[1].

وتتمظهر العلاقة الإيجابية بين الأسطورة والفلسفة في كيفية فهم "شلنج" للعلاقة «**كل ما تحمله الأسطورة من صور ورموز إنما لابد أن تحتوي معنىً فلسفياً عميقاً، فإذا كانت الأسطورة تخفي هذا المعنى وتطويه، فمهمة الفلسفة هنا أن ترفع الغطاء عن كل ما هو مستتر وأن تقوم بعملية تفسير لهذه الرموز**»[2].

ويعدّ "شلنج" من الذين فسروا الأسطورة بصورة خالية من التناقض «**وكان أول من رفض مفهوم الميثولوجيا على أنها أكذوبة شعرية أو فلسفية وأصر على ضرورة فهم الميثولوجيا من الداخل أي من حيث هي عالم مستقل يجب أن نعرفه طبقاً لقوانينه الخاصة الداخلية**»[3]. ف شلنج أخذ على عاتقه إلغاء الحدود الفاصلة بين ما هو أسطوري وما هو فلسفي ورفض رفضاً قاطعاً القطيعة بينهما. وإلى ذلك يذهب "جون كولر" ويدعو إلى ضرورة فهم خصوصية الفكر الأسطوري ضمن بيئته «**يدعو جون كولر أن ندرس الفلسفة الشرقية في إطار معاييرها الخاصة**»[4]. مع ضرورة التأكيد على أن الأسطورة تستبطن داخلها الفكر الفلسفي، والفكر الشرقي إنما هو فلسفي «**هناك فلسفة شرقية لا تقل في عمقها ودقتها وأصالتها عن فلسفات الغرب**»[5].

هذه الآراء وغيرها (التي سنأتي على ذكرها) تميل إلى إقامة علاقة إيجابية بين الأسطورة والفلسفة. والسؤال الأهم هنا: ما هي الحجج والبراهين Argument التي استند إليها دعاة الموقف الإيجابي لإثبات دعواهم؟

يمكننا تحديد الحجج التي استند إليها هذا الفريق بعدة تشابهات ملخصها:

1- تقوم الأسطورة على التفكير التأملي وتبحث عن المسببات الأولى، وتأثيرها في إيجاد الكون وهي بذلك لا تختلف عن المهمة التي يقوم بها التفكير الميتافيزيقي في الفلسفة «**الأسطورة في المجتمعات القديمة والمجتمعات التقليدية تلعب نفس الدور الذي تلعبه الميتافيزيقا في الثقافات المتطورة والتي أعلت من شأن الفلسفة**»[6].

2- إن كلاً من الأسطورة والفلسفة، يستجيب على طريقته لمطلب "النظام" أي السعي إلى رؤية مفهومة ومنظمة للعالم، عن طريق التغلب على حالة الفوضى التي تتبدى للوعي عند لقاءه الأول بالعالم، ولكل منهما أدواته في ذلك، فالفلسفة تنتج نظاماً مترابطاً من المفاهيم التجريدية يدعي تفسير العالم، كذلك فإن الأسطورة تنتج نظاماً خاصاً قوامه آلهة وقوى ما ورائية، ترتبط ببعضها البعض في هرمية متسقة للأسباب والنتائج[7]..

3- تعتمد الأساطير على المبدأ الثنائي للقوى المتعادلة، والصراع بين الخير والشر وبين النور والظلام وبين السماء والأرض وكذلك تعتمد الفلسفة على المتضادات.

---

(1) **عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، دار الحصاد للنشر والتوزيع، 1999،ص17.**

(2) **المرجع السابق، ص17.**

(3) **عيون السود، نزار، نظريات الأسطورة، مجلة عالم الفكر، الكويت، مجلد 24، العددان (1+2)، 1995م، ص217.**

(4) **كولر، جون، الفكر الشرقي القديم، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: إمام عبد الفتاح إمام، سلسلة عالم المعرفة، 1995م، ص8.**

(5) **المرجع السابق، ص8.**

(6) **السواح، فراس، الأسطورة والمعنى (دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية)، دار علاء الدين، ط2، 2001، ص21.**

(7) **المرجع السابق، ص21.**

فالخلق على سبيل المثال وفق القصور الأسطوري الهندوسي ظهر نتيجة تضحية من جسد إنسان يسمى (بوروشا) وصوّر هذا الكائن «**ككائن خنثى**»[1]. يحمل الطاقة الذكورية والأنثوية. والملفت للانتباه هو الكشف عن المعنى الدلالي لاعتماد الحكيم الهندوسي مصطلح "خنثى" في عملية الخلق وتحققه.

فربما لجأ الحكيم الهندوسي إلى تفسير الخلق باعتماد مصطلح "خنثى" لاعتقاده بمبدأ تفسير الوجود اعتماداً على المبدأ الثنائي للقوى المتعادلة والصراع بينها.

ذكر # أنثى.

خير # شر.

ظلام # نور.

محبة # كراهية.

وهذا ما يتشابه مع الزرادشتية في مفهوم الأثنينية–أهورامزدا "إله الخير"، وأهريمان "إله الشر" والصراع القائم بينهما. هذا الصراع بين القوى الثنائية يتطابق إلى حد قريب مع المتضادات في الفكر الفلسفي والذي حمل لواءه "أمباذوقليدس" الفيلسوف اليوناني الذي «**قال بمبدأي الحركة (الحب والكراهية)، علة انبثاق الموجودات الطبيعية وحركة العالم فما تسيطر المحبة عليه تحاول الكراهية إفساده، وما تسيطر الكراهية عليه تحاول المحبة إصلاحه والعلاقة بين المحب والكراهية علاقة دورية منتظمة، ومن خلال الصراع بين المحبة والكراهية تتشكل الموجودات الطبيعية ومن ثم يظهر الوجود بكل تنوعه**»[2].

4– اعتماد الأساطير على الآلهة والقوى الماورائية، لا يشير إلى نوع من اللاهوت بمعناه الحديث، إنما جاء نتيجة اعتقاد بالوحدة بين مكونات العالم الطبيعي وما وراء الطبيعي من حيث «**أنها جميعاً خاضعة لنفس القوانين ومكونة من مادة إلهية واحدة، في البداية لم تكن هناك فجوة وجودية بين عالم الآلهة وعالم البشر، وعندما يتكلم الناس عن شيء إلهي فهم يتكلمون عن جانب من جوانب العالم الأرضي**»[3].

5– وحدة الموضوع بين الأساطير والفلسفة، حيث يتناول كل منهما موضوعات مثل التكوين والأصول والنفس والموت والجمال والأخلاق، لكنهما يختلفان في طريقة التناول والمعالجة والتعبير، فبينما تلجأ الفلسفة إلى المحاكمة العقلية وتستخدم المفاهيم الذهنية كأدوات لها، فإن الأسطورة تلجأ إلى الخيال والعاطف والترميز وتستخدم الصور الحية الحركية. «**وهي (أي الأسطورة) رغم عدم كفايتها بتكوين المفاهيم والمصطلحات التي اشتهرت بها الميتافيزيقا وبقية موضوعات الفلسفة، إلا أنها تدور حول نفس هذه المفاهيم والمصطلحات وتعالجها على طريقتها متوسلة بالرمز ومستنفذة كل حيوية القصص والصور الحسية ومستكملة ذلك كله بالأفعال الطقسية ذات المعنى والمؤدى العميق**»[4].*فموضوع مادة القصص الميثولوجية لا يختلف عن الفلسفة المتأخرة والعلم، فما يميز الأسطورة عنهما أي (الفلسفة والعلم) وهو غير القصة أو استخدام التشخيص شكلاً بل إن ما يميزها أكثر من ذلك هو أن الاسطورة تعيش أو تموت ليس حقيقة أو زيفاً، فالإنسان لا يستطيع تفنيد الأسطورة والسبب في ذلك أنه يعاملها على أنها قابلة للدحض وعلى الإنسان ألا يحاول تفنيدها كأسطورة ولكن كفرضية أو تاريخ. فعلى سبيل المثال لا يستطيع الإنسان أن يدحض*

---

(1) **إلياد، مرسيا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق، 1986–1987، ص277.**

(2) **الجباعي، نجاة، إشكالية الحركة بين الفيزيقا والميتافيزيقا عند أرسطو، رسالة ماجستير، جامعة دمشق، 2010،ص21.**

(3) **أرمسترونغ، كارين، تاريخ الأسطورة، ترجمة: وجيه قانصو، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، 2008، ص11.**

(4) **السواح، فراس، الأسطورة والمعنى (دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية)، ص21.**

وجود أو عدم وجود أسطورة رع Re أو أوزيريسWsir– ولكنه يثبت أو ينفي الأحداث التاريخية التي تدور حول هذه الأسطورة، هل حدثت فعلاً أم لم تحدث[1].

6– تلتقي الأسطورة بالفلسفة في طموحها الأبستمولوجي، من حيث تسعى كل منهما إلى الوصول إلى معرفة منظمة بالعالم، وبالتالي التعارض بين الميثوسواللوغوس هو تعارض في طريق الوصول إلى المعرفة، ففي حين يقوم الميثوس على التمثيل يعمد اللوغوس إلى المفهوم «**الأسطورة تنزع في تفسيرها إلى التشخيص والتمثيل والتجسيم وتنأى بجانبها عن التعليل والتحليل**»[2]. بينما تبنى الفلسفة على الإبداع المستمر للمفاهيم. فهما أي (الأسطورة والفلسفة) يعبران عن نفس الطموح الإبستمولوجي ولكن بطرق معرفية مختلفة.

ويمكن أن نجد العديد من التشابهات الأخرى، وهي جميعها تخدم النتيجة النهائية التي توصل إليها هذا الفريق في أن «**تضييق معنى الفلسفة هو الذي حال دون إطلاقها على حكمة الشرق القديم، ولو اتسع مدلولها حتى شمل الحياة العقلية والروحية لانحدرنا بنشأتها إلى شعوب الشرق**»[3].

ثالثاً: التعارض بين الأسطورة والفلسفة:

مع إيماننا باختلاف وجهات النظر، هناك من نظر إلى العلاقة القائمة بين الأسطورة والفلسفة من ناحية سلبية، حيث أنكر دعاة هذا الاتجاه قيام أي نوع من القرابة بين النسق الفكري الأسطوري والفلسفي، وفصلوا فصلاً كاملاً بينهما انطلاقاً من أنه ثمة تعارض بين الخيالي والبرهاني. هذا التعارض حمل لواء الدفاع عنه "جان فرنان" الذي أكد على أن النص الأسطوري شيء والنص الفلسفي شيء آخر مختلف تماماً فيقول: «**إن ولادة الفلسفة في اليونان، ففي مدرسة ميلتوسEcoleMiletيكون اللوغوس(Logos) قد تحرر لأول مرة من المثية كما تقع الغشاوة عن أعين الأعمى**»[4].

ويتماشى موقف "رافييلي بيتا تسوني" مؤرخ الديانات مع من سبقه فهو يعترض على القائلين بوجود صلة قرابة بين الأسطورة والفلسفة «**فالفكر الأسطوري هو فكر منطقي ولا منطقي، عقلي ولا عقلي في آن واحد كما أنه يشتمل على مجموع أساليب الإدراك الإنساني**»[5].

ولكن الأهم في كل ذلك ما ذهب إليه رينان Renan وكوزان Cousin وغوته Goethe. فقد ميزوا بين عقلية الشعوب المختلفة، وتحدثوا عن خصائص ذهنية وثقافية معينة لكل جنس من الأجناس البشرية، وهكذا فإنهم يزعمون أن الأجناس الشرقية تختلف في تركيبها الذهني والثقافي عن الشعوب الغربية، ومن ضمنها الشعب اليوناني، فعقلية الشرقي هي عقلية أبعد ما تكون عن العقلية العلمية، لأنها عقلية فصل ومباعدة لا عقلية جمع وتوحيد، فهي لا تعرف النظريات التحليلية والتأليفية التي يتميز بها الفكر الغربي أو اليوناني والتي هس أساس تكّون النظريات والمذاهب الفلسفية والعلمية على حد سواء[6]. هذه الآراء وغيرها (التي سنأتي على ذكرها) تميل إلى إقامة علاقة سلبية بين الأسطورة والفلسفة. ويمكننا تلخيص أهم حجج وأدلة هذا الفريق بما يلي:

---

(1) **مها عيسى فتاح العبد الله، تأويل الأسطورة في كتابات أفلاطون، دار الفارابي، 2016، ص63.**

(2) **عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ص20.**

(3) **توفيق الطويل، أسس الفلسفة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1966، ص27.**

(4) **فرنان، جان، الأسطورة والفكر عند اليونان (دراسات في علم النفس التاريخي)، ترجمة: جورج رزق، مراجعة: عبد العزيز العيادي، المنظمة العربية للترجمة، 2012، ، ص633.**

(5) **عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ص16.**

(6) **فضل الله، مهدي، بدايات التفلسف الإنساني (الفلسفة ظهرت في الشرق)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1994، 38.**

1- الأسطورة تعود إلى الوراء، إلى العالم الخيالي للنموذج المثالي المقدس في حين يتقدم اللوغوس بثبات إلى الأمام محاولاً باستمرار اكتشاف شيء جديد لتنقية الرؤية القديمة. «**فاللوغوس يمثل قطيعة حاسمة مع الخيال الأسطوري؛ لأن العجيب تحول إلى إشكال، إلى سؤال وأصبح يولد عند الإنسان الاستفهام والتساؤل الذي يحث على البحث والتنقيب للوصول إلى نتائج تشرح الظواهر بالاستناد على التفكير العقلي الذي أنار للإنسانية طريقها وقضى على الجهل وأشباح الخرافة**»[1].

بمعنى آخر ظهور اللوغوس شكل قطيعة ابستمولوجي مع الفكر الأسطوري وجاء مصححاً مساره «**وكمسافر دون متاع تأتي الفلسفة إلى العالم من دون ماضٍ من دون أهل، ومن دون عائلة، إنها بداية مطلقة**»[2] (فرنان، 2012، ص634).

2- تختلف الأسطورة عن الفلسفة من حيث أنها «**تحتوي على أشكال عقلية وأخرى لا عقلية، كما أن نظامها وبنيتها لا يمكن أن يختلطا بالنظام والبنية العقليين للفلسفة لأنها تملك نوعاً من النظام الخاص بها وحدها**»[3].

الأمر الذي يسمح لنا بالقول أن خصوصية الخطاب الأسطوري تكمن في هذا الشواش من المعقولية واللامعقولية على حد سواء فكل شيء ممكن الحدوث مع الأسطورة وهذا ما يغيب عن الخصوصية الفلسفية ذات الطابع النسقي، فالسمة التي تطبع الفكر الفلسفي من جهة «**هي رفض الفوطبيعي والمُعجِز في شرح الظواهر، ومن جهة ثانية القطيعة مع منطق تساوي الحدين، و البحث في الخطاب عن تماسك داخلي بتحديد صارم للتصورات وبحصر واضح لأصعدة الواقع وبالتقيد التام بمبدأ الهوية، وهذه التجديدات التي تأتي بأول شكل للعقلية ليست لتشكل أعجوبة فلا حبل بلا دنس عند العقل**»[4].

3- من أخص ما كمان يميز التفكير الفلسفي هو التماس المعرفة لذاتها حيث يتجه العقل إلى كشف الحقيقة بباعث من اللذة العقلية، أما الأسطورة فغاية المعرفة فيها أغراض عملية وغايات دينية. «**أوراق البردي المسماة أوراق رانيد في المتحف البريطاني – تظهر أن رياضيات المصريين عملية بحتة، يتعلق الحساب منها بقياسات القمح والفاكهة وأنها تعالج مشاكل عملية مثل تقسيم عدد من المكاييل على عدد معطى من الأشخاص أو تقسيم الحاصل على عدد من الفلاحين، أو كم هو الأجر لمجموعة من العاملين لعمل معين وهكذا**»[5]. حتى أن فكرة الأخلاق في مصر القديمة لا تخرج من دائرة الأخلاق العملية وتختص بالسلوك والتطبيق. فيذخر الفكر المصري بالنصائح والمواعظ والقيم المثلى وجميعها تدور في فلك الأخلاق العملية. أصلها عقائدي هدفها ديني وهو الوصول إلى البعث والخلود. جاء في أقوال تباح حوتب (2700 ق.م) وهو من رواد الفكر الأخلاقي في مصر القديمة «**أن مفتاح النجاح في الحياة العملية التي**

---

(1) **رشيدة، صاري، اللوجوس في الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة المعاصرة (هيراقليطس هيدغر) أنموذجين، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، 2014-2015، ص5.**

(2) **فرنان، جان، الأسطورة والفكر عند اليونان (دراسات في علم النفس التاريخي)، ص634.**

(3) **عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ص28.**

(4) **فرنان، جان، الأسطورة والفكر عند اليونان (دراسات في علم النفس التاريخي)، ص675.**

(5) **المرزوقي، جمال، الفكر الشرقي القديم وبدايات التأمل الفلسفي، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2001، ص27.**

خصص لها حوالي ثلث نصائحه لابنه فهو ينصحه بالتخلق بالجذر في حضرة العظماء وبالالتزام بآداب المائدة في حضرة الرئيس.. والتزام الصمت والتواضع والاحترام والكرم والزواج وضبط النفس والعدالة وغيرها من الفضائل»[1].

فالنظر العقلي في الأسطورة وسيلة وليس غاية في ذاته، ومن هنا كان عجزهم عن وضع مذاهب تحمل الحقائق التي يتوصلون إليها بالبرهان العقلي.

4- يدّعي دعاة هذا الاتجاه أنّ الخيال التي تتضمنه الأسطورة أقل درجة من الحقيقة القائمة على العقل والجهاز المفاهيمي الذي تتميز به الفلسفة «**الفكر الأسطوري هو فكر ما قبل منطقي، إذا بحث عن العلل فإنها لا تكون عللاً منطقية وإنما عللاً باطنية غامضة**»[2].

5- «**تعمل الفكرة في الأسطورة في حدود ما يتطلبه التفكير بالتعامل مع الأشياء والناس العاديين لا أكثر، أما بالنسبة للميتافيزيقا فهي تحتاج إلى قواعد مؤكدة ومبرهنة مُساقة في منظومة استنتاجات وتحتاج إلى وضوح مصطلحي ولغة مبتكرة وتحليل مفاهيم**»[3]. فالفكر الفلسفي فكر نسقي بنائي يبدأ بالمحاكمة العقلية لينتقل وفق قواعد التجريد إلى ابتكار مصطلحات خاصة بالفكر الفلسفي ليتوضح المسطح المفاهيمي للفيلسوف حيث يبني نسقه الخاص به معتمداً في ذلك على الحجاج والبرهان وهذا ما ينقص الفكر الأسطوري التلقائي.

6- في الفكر الأسطوري تنتفي العلاقة الجدلية بين الإنسان والطبيعة، حيث تنظر الأسطورة إلى البشر على أنهم مجرد جزء من النسق الطبيعي لا استقلال له بدونه في حين أن الفلسفة تركز على الإنسان بوصفه وعياً فاعلاً في علاقته بالعالم «**كان الأقدمون كمتوحشي اليوم، يرون الإنسان دائماً كجزء من المجتمع، والمجتمع كشيء مثبت في الطبيعة، معتمد على قوى كونية، فهم لم يروا الطبيعة والإنسان واقفين يجابه الواحد الآخر ولذا لم تكن ثمة حاجة لفهمهما بأساليب مختلفة**»[4].

رأي وتحليل: نجد أن الفكر الذي تحمله الأسطورة يخضع لتقييمين متقابلين، الأول يقصي الوعي الأسطوري، باعتبار أن البحث في المبادئ الأولى للوجود يقصي حكاية الأخبار الحقيقية، و الثاني ينظر إلى الأساطير باعتبارها مجازاً وتحتوي على مضامين فكرية ميتافيزيقية وأخلاقية أصيلة، والإمساك بهذه الحقائق الكامنة تحت الغطاء الأسطوري هو ما يجب أن يُوجّه البحث الفلسفي في دراسته للأسطورة من خلال البحث يلحظ القارئ إقرارنا منذ البداية أن هناك طور يختلف فيه التفكير الأسطوري عن الفكر الفلسفي وهناك طور آخر يندمجان فيه، هذان الطوران غير منفصلين وإنما متداخلين.

لا نستطيع الجزم بقطع كامل بين أنماط التفكير وإن كان ثمة سبق تاريخي جاء فيه الفكر الأسطوري ومن ثم الفكر الفلسفي باعتباره درجة من النضج والتفكير إلا أن التفكير الفلسفي لم ينهي تماماً التفكير الأسطوري وإنما أُعيد استخدامه بطريقة أخرى بالتالي تغيرات استخدام بشكل دائم عبر إحياء ما هو قادر لأن يدعم تصور المعرفة.

---

(1) **النشار، مصطفى، الفكر الفلسفي في مصر القديمة، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص58-59-60-61.**

(2) **عزيز، كارم محمود، أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم، ص14.**

(3) **لوسيف، أليكسي، فلسفة الأسطورة: ترجمة: منذر حلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 2000، ص79.**

(4) **فرانكفورت، جون ولسون، فرانكفورت، توركيدجاكبسون، ما قبل الفلسفة (الإنسان في مغامرته الفكرية الأولى)، ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، 1980، ص14.**

الاستنتاجات والتوصيات:

نحن نؤمن بحوار الحضارات، وتقدم وصيرورة المعرفة الإنسانية، بمعنى أن العقلية الإنسانية تفصح عن أن الوعي الأسطوري كان هو المرحلة الأولى للعقل الإنساني بينما الوعي المعرفي الفلسفي مرحلة متقدمة ولاحقة، والعلاقة بينهما تأثر وتأثير، فلا نستطيع الحديث عن نتاج أي فكر أنه يشكّل قطيعة عما سبقه.

إنّ ما قدمناه ليس إلا غيضاً من فيض، فإشغال فتيل الحرب ما زالت قائمة ومحتدمة بين أنصار العلاقة الإيجابية للأسطورة والفلسفة وأنصار العلاقة السلبية وهذا ما يجعل السؤال قائماً ومشروعاً ومفتوحاً لقراءات عديدة.

– إنَّ ما قدمناه عن طبيعة العلاقة بين الأسطورة والفلسفة ينحصر في اتجاهين، اتجاه يعمل على صهر الأسطورة بالفلسفة واتجاه يعمل على الفصل بينهما.

– نوصي بدراسة العلاقة بين الأسطورة والفلسفة بأبحاث قادمة تسد ثغرات كل اتجاه فلا تنحاز إلى أن الفلسفة استمرار للأسطورة كما توصلنا مع الاتجاه الأول وذلك للاعتبار التالي:

– أنَّ النظرة الفلسفية حققت عبر تاريخ بسيط لها قفزات هائلة في نظرياتها التي حاولت من خلالها تفسير الواقع الطبيعي والإنساني فلو كانت الفلسفة استمرار للأسطورة لما استطعنا تقديم تفسير منطقي للتطور الهائل في النظرة الفلسفية.

– ولا تنحاز إلى أن الفلسفة إنما تشكل قطيعة ابستمولوجية وذلك للاعتبار التالي: أن هذه النظرية تعمل على نفي دور الأسطورة في التفكير الفلسفي ونحن نعلم يقيناً أن التقاليد الأسطورية كانت مستمرة في الفلسفة اليونانية ناهيك عن استخدام عقلي ممنهج للأساطير في فلسفة أفلاطون الذي لم يقبل نفي الأسطورة.

– من الممكن دراسة نمطي التفكير دراسة منهجية، كل نمط على حِدا، نمط التفكير الأسطوري ومعرفة خصوصيته، ونمط التفكير الفلسفي ومعرفة خصوصيته. ليتسنى للباحثين اعتماد أرضية منهجية ومحددات إجرائية في دراسة العلاقة بين الفلسفة والأسطورة.

Sources and references:

- Al-Abdullah, Maha, Interpretation of the Myth in Plato’s Writings, Dar Al-Farabi, 2016.
- Armstrong, Karen, The History of the Legend, translated by: WajihKanso, Arab Science House, Publishers, Beirut, 2008.
- Aziz, Karem Mahmoud, The Legends of the Great Torah and the Heritage of the Ancient Near East, Dar Al-Hassad for Publishing and Distribution, 1999.
- Deleuze, Gil, Githari, Felix, What is Philosophy ?, translated by Mata'a Safadi, Arab Cultural Center, Beirut, 1997.
- Heidegger, Martin, What is philosophy, what is metaphysics ?, House of Culture, Cairo, 1974.
- Iliad, Mercia, History of Religious Beliefs and Ideas, translated by: Abd al-Hadi Abbas, vol. 1, Damascus House, 1986-1987.
- Fadlallah, Mahdi, The Beginnings of Human Philosophy (Philosophy appeared in the East), Dar Al Tali’a for Printing and Publishing, Beirut, 1994.
- Fernan, Jean, Myth and Thought in Greece (Studies in Historical Psychology), translated by: Georges Rizk, Revision by: Abdulaziz Al-Ayadi, Arab Organization for Translation, 2012.

- Frankfurt, John Wilson, Frankfurt, Torkid Jacobson, Pre-Philosophy (Man in his first intellectual adventure), translated by: Jabra Ibrahim Jabra, Arab Foundation for Studies and Publishing, 2nd Edition, 1980.
- Koller, John, The Ancient Eastern Thought, translated by: KamelYusef Hussein, Revision: Imam Abdel-Fattah Imam, The World of Knowledge Series, 1995 AD.
- Lucif, Alexey, The Philosophy of the Legend: Translated by: MontherHalloum, Dar Al-Hiwar for Publishing and Distribution, Lattakia, 2000.
- Al-Marzouki, Jamal, Ancient Eastern Thought and the Beginnings of Philosophical Reflection, Dar Al-Horizon Al-Arabiya, Cairo, 2001.
- Mostafavi, Muhammad, Religion and Legend (a comparative study in Western and Islamic thought), Arab Expansion Foundation, 2014.
- Al-Nashar, Mustafa, Philosophical Thought in Ancient Egypt, The Egyptian Saudi House for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, 2004.
- Al-Sawah, Firas, Myth and Meaning (Studies in Eastern Mythology and Religions), Dar Alaeddin, 2nd Edition, 2001.
- Al-Tawil, Tawfiq, Foundations of Philosophy, The Egyptian Renaissance Library, Cairo, Second Edition, 1955.
- Worm, Frederick, Philosophy in 100 Words, translated and presented by: Muhammad Jadidi, Defaf Publications, 2015.

Dictionaries and encyclopedias:

- Ibn Manzur, Lisan al-Arab, The Amiri Press, C6, Line Article, B. T.
- Madkour, Ibrahim, The Philosophical Dictionary, The General Authority for the Affairs of the Emiri Press, 1983.
- Saliba, Jamil, The Philosophical Dictionary of Arabic, French, English and Latin Expressions, The Lebanese Book House, Part 1, 1982.
- Saliba, Jamil, The Philosophical Dictionary of Arabic, French, English and Latin Expressions, The Lebanese Book House, Part 2, 1982.

Foreign references:

- Eliade, Mircea, Myth, Drams and Mysteries, New York, 1960.
- Freued Sigmund, The Najor works, Chicago University, 1977.

University Theses:

- Al-Jabaei, Najat, The Problem of the Movement Between Aristotle's Physics and Metaphysics, Master Thesis, Damascus University, 2010.
- Rachida, Sari, Logos in Greek Philosophy to Contemporary Philosophy (Heraclitus Heidegger) Two Models, PhD Thesis, University of Oran, 2014-2015.

Magazines and periodicals:

- Al-Daher, Suleiman, The Concept of Layout in Philosophy: Problems and Characteristics, Damascus University Journal of Arts and Humanities, Volume 30, Issue (3 + 4), 2014.
- Eyes of the Blacks, Nizar, Theories of the Legend, The World of Thought Magazine, Kuwait, Volume 24, Issues (1 + 2), 1995 AD.